The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
Romans 3:27-4: 17	رومية 3: 27 – 4: 17
#1086	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 227
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَكْ سميث

[المُقدِّمة]
(مُقدِّم البرنامج)

أهْلًا وَمَرْحَبًا بِكَ صَديقي المُستَمِع في حَلْقَةٍ جَديدَةٍ مِنَ البَرْنامَج الإذاعيِّ "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم".

سَوْفَ نُتابعُ اليومَ دِراسَتَنا لِرِسالَةِ بولُسَ الرَّسولِ إلى مُؤمِني رُومية. وَما نَأمَلُهُ هُوَ أنْ تَكونَ، عَزيزي المُستَمِع، قَدْ تَبارَكْتَ، واستَفَدْتَ، وَحَقَّقْتَ نُضْجًا في عَلاقَتِكَ بالربِّ يَسوعَ المَسيح مِنْ خِلال هَذِهِ التَّفسيراتِ وَالتأمُّلات.

وَفي حَلْقَةِ اليوم، سَنُتابِعُ بِنِعْمَةِ الربِّ تَفْسيرَ المَزيدِ مِنْ آياتِ هَذِهِ الرِّسالَةِ العَظيمَةِ على فَمِ الرَّاعي "تشك سميث".

فَإنْ كَانَ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ، نَرْجو أنْ تَفْتَحَهُ على الأصْحاحِ الثَّالِثِ مِنَ الرِّسالَةِ إلى أهْلِ رُومية. أمَّا إنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ في هَذِهِ اللَّحْظَةِ، فَنَرْجو أنْ تُصْغي بِروحِ الخُشوعِ وَالصَّلاة.

والآنْ، نَتْرُكُكُمْ أعِزَّاءَنا المُستَمِعين مَعَ دَرْسٍ جَديدٍ مِنَ رِسالَةِ بُولُسَ الرَّسولِ إلى أهْلِ رُومية ابْتِداءً بالأصْحاحِ الثَّالِثِ وَالعَدَدِ السَّابِعِ وَالعِشرين؛ دَرْسًا أعَدَّهُ لَنا الرَّاعي "تشك سميث":

[العِظَة]
(الرَّاعي "تْشَكْ سميث")

لَقَدْ ذَكَرَ الرَّسولُ بولُسُ في رِسالَتِهِ إلى أهْلِ رُومية 3: 26 أنَّ اللهَ العَلِيَّ أظْهَرَ بِرَّهُ لَنا. وَلا شَكَّ أنَّ اللهَ عَادِلٌ في تَبْريرِهِ لَنا لأنَّ يَسوعَ دَفَعَ أُجْرَةَ خَطايانا بِدَمِهِ. فَقَدْ حَلَّتْ دَيْنونَةُ اللهِ العَادِلَة على الخطيَّةِ لأنَّهُ كانَ قَدْ أعْلَنَ أنَّ أُجْرَةَ الخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ. وَلأنَّنا أخْطَأنا جَميعًا، فإنَّنا نَسْتَحِقُّ المَوْتَ. لَكِنْ لأنَّ يَسوعَ مَاتَ عَنَّا، فَإنَّنا نَتَبَرَّرُ بِدَمِهِ مِنْ خِلالِ إيمانِنا بِهِ وَبِما فَعَلَهُ لأجْلِنا على الصَّليب. وَعلى هَذا الأساس، فَإنَّ اللهَ بارٌّ في تَبْريرِهِ لَنا. فَقَدْ كانَ لا بُدَّ للمَوْتِ أنْ يَحِلَّ على كُلِّ إنْسانٍ لأنَّ الجَميعَ أخْطَأُوا وَأعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ. لَكِنْ لأنَّ اللهَ يُحِبُّنا وَلا يُريدُنا أنْ نَهْلِكَ في خَطايانا، فَقَدْ جَاءَ في جَسَدٍ بَشَرِيٍّ إلى الأرْضِ وَاخْتارَ أنْ يَموتَ عَنَّا على الصَّليب. وَهَذا هُوَ مَا يُعْلِنُهُ الإنْجيلُ في مَا يَخُصُّ بِرَّ اللهِ وَتَبْريرَهُ للخُطاة.

وَيا لَهُ مِنْ نَبَأٍ سَعيدٍ لِكُلِّ مَنْ يُؤمِن بيسوعَ المَسيح! فَقَدْ صِرْنا أبْرارًا في نَظَرِ اللهِ! أجَلْ يا صَديقي، فَقَدْ أعْلَنَ اللهُ بِرَّنا أمامَهُ مِنْ خِلالِ إيمانِنا بِدَمِ يَسوعَ المَسيحِ الذي سُفِكَ لأجْلِنا. لِذَلِكَ، فَقَدْ نِلْنا الغُفْرانَ على الخَطايا التي اقْتَرَفْناها في المَاضي. وَفي ضَوْءِ هَذا الحَقِّ الثَّمين، يَقولُ الرَّسولُ بولُسُ الرَّسولُ إنَّ اللهَ قَدَّمَ يَسوعَ المَسيحَ كَفَّارَةً **"لإظْهَارِ برِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإيمَانِ بِيَسُوعَ"**.

ثُمَّ يَقولُ الرَّسولُ بولُسُ في رِسالَتِهِ إلى أهْلِ رُومية 3: 27:

فَأَيْنَ الافْتِخَارُ؟ قَدِ انْتَفَى. بِأَيِّ نَامُوسٍ؟ أَبِنَامُوسِ الأَعْمَالِ؟ كَلاَّ. بَلْ بِنَامُوسِ الإِيمَانِ.

وَهَذا يُرينا أنَّنا لا نَسْتَطيعُ أنْ نَفْتَخِرَ بأيِّ أعْمالٍ صَالِحَةٍ عَمِلْناها. فَقَدْ رَأيْنا أنَّنا لا نَسْتَطيعُ أنْ نَتَبَرَّرَ مِنْ خِلالِ الشَّريعَةِ، وَلا مِنْ خِلالِ الأعْمالِ الصَّالِحَةِ. لَكِنَّنا نَسْتَطيعُ أنْ نَتَبَرَّرَ مِنْ خِلالِ إيمانِنا بيسوعَ المَسيح. لِذَلِكَ فَقَدْ قالَ الرَّسولُ بولُسُ في رِسالَتِهِ إلى أهْلِ غَلاطِيَّة 6: 14: **"وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ"**. في ضَوْءِ ذَلِكَ، يَجِبُ عَلَيْنا أنْ نَفْتَخِرَ لا بِما فَعَلْناهُ نَحْنُ لأجْلِ الربِّ يَسوعَ المَسيح، بَلْ بِما فَعَلَهُ هُوَ لأجْلِنا.

فالعَهْدُ الجَديدُ يُوَجِّهُ أنْظارَنا لا إلى ما فَعَلْناهُ نَحْنُ، وَلا إلى مَا يُمْكِنُنا فِعْلُهُ لأجْلِ اللهِ. بَلْ إنَّهُ يُوَجِّهُ أنْظارَنا دَوْمًا إلى ما فَعَلَهُ اللهُ لأجْلِنا. بِعِبارَةٍ أُخرى، فَإنَّهُ يُوَجِّهُ أنْظارَنا إلى الصَّليب. لِذَلِكَ، حَاشا لَنا أنْ نَفْتَخِرَ إلَّا بِصَليبِ رَبِّنا يَسوعَ المَسيح. فَإنْ كُنْتَ، عَزيزي المُسْتَمِع، تَصْرِفُ ساعَتَيْنِ يَوْمِيًّا في الصَّلاةِ، وَأرْبَعَ سَاعاتٍ في دِراسَةِ الكِتابِ المُقَدَّس، وَثَلاثَ سَاعاتٍ في المُناداةِ بِرِسالَةِ الإنْجيل، فَلا يُمْكِنُكَ أنْ تَفْتَخِرَ بِما تَفْعَلُهُ. وَلا يُمْكِنُكَ أنْ تَتَباهى بِتَضْحِيَتِكَ بِوَقْتِكَ مِنْ أجْلِ الربِّ. فَأنا وَأنْتَ، يَا صَديقي، مُجَرَّدُ شَخْصَيْنِ خَاطِئَيْنِ لا حَوْلَ لَنا وَلا قُوَّة. وَلَوْلا نِعْمَةُ اللهِ لَهَلَكْنا وَمُتْنا في خَطايانا. فَنَحْنُ جَميعًا نَسْتَحِقُّ دَيْنونَةَ اللهِ. لَكِنَّ اللهَ أحَبَّنا وَنَحْنُ بَعْدُ خُطاة. وَبِسَبَبِ مَحَبَّتِهِ العَظيمَةِ لَنا، فَقَدْ أرْسَلَ ابْنَهُ الوَحيدَ يَسوعَ المَسيحَ كَيْ يَموتَ عَنَّا وَيَدْفَعَ أُجْرَةَ خَطايانا بِدَمِهِ الزَّكِيِّ. وَمِنْ خِلالِ مَا فَعَلَهُ لأجْلِنا على الصَّليبِ، فَإنَّهُ يُقَدِمُ لَنا الغُفْرانَ، وَالتَّبريرَ، وَالشَّرِكَةَ مَعَ اللهِ الحَيِّ. وَكُلُّ ما يَنْبَغي لَنا أنْ نَفْعَلَهُ كَيْ نَحْصُلَ على جَميعِ هَذِهِ الامْتيازاتِ العَظيمَةِ هُوَ أنْ نُؤمِنَ بأنَّ يَسوعَ مَاتَ بَدَلًا عَنَّا.

في ضَوْءِ مَا سَبَق، لا يُمْكِنُ لأيِّ شَخْصٍ أنْ يَفْتَخِرَ بأعْمالِهِ أوْ صَلاحِهِ. وَعِنْدَما نَذْهَبُ إلى السَّماءِ، لَنْ نَجِدَ هُناكَ مَنْ يَتَباهى بِما فَعَلَهُ لأجْلِ اللهِ أثناءَ حَياتِهِ على الأرْض. فَفي السَّماءِ، لَنْ يَكونَ هُناكَ سِوى التَّسْبيحِ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ التَّسْبيح! وَسَوْفَ نَعيشُ إلى أبَدِ الآبِدينَ وَنَحْنُ نَتَمَتَّعُ بِنِعْمَةِ اللهِ العَلِيِّ مِنْ خِلالِ مَا فَعَلَهُ يَسوعُ المَسيحُ لأجْلِنا. فَمِنْ خِلالِهِ، صَارَ بِمَقْدورِنا أنْ نَدْخُلَ إلى مَحْضَرِ اللهِ الحَيِّ، وَأنْ نَتَمَتَّعَ بالشَّرِكَةِ مَعَهُ.

لِذَلِكَ، يَقولُ الرَّسولُ بولُسُ: **"أَيْنَ الافْتِخَارُ؟"** وَهُوَ يُجيبُ عَنْ سُؤالِهِ بِنَفْسِهِ قائِلًا: **"قَدِ انْتَفَى!"** ثُمَّ يَقولُ: **"بِأَيِّ نَامُوسٍ؟ أَبِنَامُوسِ الأَعْمَالِ؟ كَلاَّ. بَلْ بِنَامُوسِ الإِيمَانِ"**. فَلَوْ كانَ بِمَقْدورِنا

أنْ نَتَبَرَّرَ بأعْمالِنا، لَجازَ لَنا أنْ نَصيحَ بأعْلى صَوْتِنا افْتِخارًا. لَكِنَّ كُلَّ افْتِخارٍ قَدِ اخْتَفى. فَلا يَجوزُ لَنا أنْ نَفْتَخِرَ بالإيمانِ مَا دامَ اللهُ هُوَ الذي وَهَبَهُ لَنا.

وَيُتابِعُ الرَّسولُ بُولُسُ حَديثَهُ قَائِلًا في رِسالَتِهِ إلى أهْلِ رُومية 3: 28 31:

إذًا نَحْسِبُ أنَّ الإنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بالإيمَانِ بدُونِ أعْمَالِ النَّامُوسِ. أمِ اللهُ لِلْيَهُودِ فَقَطْ؟ أَلَيْسَ لِلأُمَمِ أيْضًا؟ بَلَى، لِلأُمَمِ أيْضًا لأنَّ اللهَ وَاحِدٌ، هُوَ الَّذِي سَيُبَرِّرُ الْخِتَانَ بالإيمَانِ وَالْغُرْلَةَ بالإيمَانِ. أفَنُبْطِلُ النَّامُوسَ بالإيمَانِ؟ حَاشَا! بَلْ نُثَبِّتُ النَّامُوسَ.

بِمَعْنَىً آخَر، عِنْدَما نَقْبَلُ عَطِيَّةَ الإيمانِ التي يَهَبُنا اللهُ إيَّاها، فإنَّنا نُثَبِّتُ النَّاموسَ وَالغايَةَ مِنْهُ. فَالنَّاموسُ هُوَ الذي يُبَيِّنُ لَنا أنَّنا لا نَسْتَطيعُ أنْ نَقِفَ في مَحْضَرِ اللهِ القُدُّوسِ بالاتِّكالِ على أعْمالِنا. وَعِنْدَما نَقْبَلُ مَا فَعَلَهُ يَسوعُ لأجْلِنا على الصَّليبِ، فإنَّنا نُؤكِّدُ أنَّ النَّاموسَ عَاجِزٌ عَنْ تَخْليصِنا وَتَبْريرِنا أمامَ اللهِ. فالنَّاموسُ يَكْشِفُ ضَعْفَنا وَعَجْزَنا عَنْ تَبْريرِ أنْفُسِنا بأنْفُسِنا. وَهُوَ يَدْفَعُنا إلى التَّفْكيرِ في البَديلِ الآخَرِ الذي وَفَّرَهُ اللهُ لَنا ألا وَهُوَ: أنْ نُؤمِنَ بيسوعَ المَسيحِ وَنَقْبَلَهُ رَبًّا وَمُخَلِّصًا لِحَياتِنا!

وَالآنْ، نَنْتَقِلُ، صَديقي المُسْتَمِع، إلى الأصْحاحِ الرَّابِعِ مِنَ الرِّسالَةِ إلى أهْلِ رُومية فَنَقْرَأُ في العَدَدَيْنِ الأوَّلِ وَالثَّاني (على لِسانِ الرَّسولِ بولُس):

فَمَاذَا نَقُولُ إنَّ أبَانَا إبْرَاهِيمَ قَدْ وَجَدَ حَسَبَ الْجَسَدِ؟ لأنَّهُ إنْ كَانَ إبْرَاهِيمُ قَدْ تَبَرَّرَ بالأعْمَالِ فَلَهُ فَخْرٌ، وَلَكِنْ لَيْسَ لَدَى اللهِ.

فَلَوْ كانَتْ أعْمالُ أبينا إبراهيمَ هِيَ التي بَرَّرَتْهُ أمامَ اللهِ، لَكانَ مِنْ حَقِّهِ أنْ يَفْتَخِرَ بِأعْمالِهِ. وَلَوْ كانَ هَذا صَحيحًا، لَسَمِعْناهُ يَقولُ: "لا أُريدُكُمْ أنْ تَنْسَوْا يَوْمًا أنِّي تَرَكْتُ بَيْتي وَعَشيرَتي وَرَحَلْتُ إلى مَكانٍ مَجْهولٍ بانْتِظارِ تَعليماتِ الربِّ! وَلا أُريدُكُمْ أنْ تَنْسَوْا أيْضًا أنِّي أوْشَكْتُ على ذَبْحِ ابْني إسْحاق لأجْلِ الربِّ!" لا يا صَديقي، فَهُوَ لَمْ يَفْتَخِرْ بأيِّ عَمَلٍ قامَ بِهِ لأنَّهُ كانَ يَعْلَمُ أنَّ الفَضْلَ كُلَّهُ للهِ!

ثُمَّ يَقولُ الرَّسولُ بولُسُ في العَدَدِ الثَّالِثِ:

لأنَّهُ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ؟ «فَآمَنَ إبْرَاهِيمُ باللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا».

وَهَذا هُوَ أساسُ التَّبريرِ يا صَديقي. إنَّهُ الإيمان. فَلأنَّ إبراهيمَ آمَنَ باللهِ، فَقَدْ حُسِبَ إيمانُهُ لَهُ بِرًّا. وَيُتابِعُ بولُسُ الرَّسولُ حَديثَهُ قائِلًا في العَدَدِ الرَّابِع:

أمَّا الَّذِي يَعْمَلُ فَلاَ تُحْسَبُ لَهُ الأُجْرَةُ عَلَى سَبِيلِ نِعْمَةٍ، بَلْ عَلَى سَبِيلِ دَيْنٍ.

فَيَنْبَغي لَكَ أنْ تَعْرِفَ، عَزيزي المُسْتَمِع، أنَّ اللهَ لَنْ يَكونَ يَوْمًا مَدْيونًا لَكَ أوْ لأيِّ إنْسانٍ آخَر. فَنَحْنُ مَدْيونونَ لَهُ دائِمًا. أمَّا هُوَ فَحاشا لَهُ أنْ يَكونَ مَدْيونًا لأحَد. لِذَلِكَ، لَوْ كانَ بِمَقْدورِكَ أنْ تَأتي إلى اللهِ مِنْ خِلالِ أعْمالِكَ، لَكانَ اللهُ مَدْيونًا لَكَ بالخَلاص. لِذَلِكَ يَقولُ الرَّسولُ بولُس: **"أمَّا الَّذِي يَعْمَلُ فَلاَ تُحْسَبُ لَهُ الأُجْرَةُ عَلَى سَبيلِ نِعْمَةٍ، بَلْ عَلَى سَبيلِ دَيْنٍ"**. فَالشَّخْصُ الذي يَعْمَلُ لَدى صاحِبِ العَمَلِ يَسْتَحِقُّ مَعاشًا في آخِرِ اليومِ أوِ الأسبوعِ أوِ الشَّهْر. لَكِنَّ التَّبريرَ مُخْتَلِفٌ تَمامًا. لِذَلِكَ، يُكْمِلُ بولُسُ الفِكْرَةَ قائِلًا في العَدَدِ الخامِس:

وَأمَّا الَّذِي لاَ يَعْمَلُ، وَلكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ، فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ برًّا.

وَقَدْ تَبْدو هَذِهِ الكَلِماتُ غَريبَةً بالنِّسْبَةِ إلينا بِسَبَبِ مَفاهيمِنا المُغايِرَة. لَكِنَّ مَا يَقولُهُ الرَّسولُ بولُسُ هُنا يَمْلأُنا رَجاءً لأنَّهُ يُبْقي بَابَ الخَلاصِ مَفْتوحًا على مِصْراعَيْهِ أمامَ كُلِّ إنْسان. وَفي ضَوْءِ هَذا الحَقِّ الثَّمين، يُمْكِنُكَ عَزيزي المُسْتَمِع أنْ تَأتي إلى اللهِ في أيِّ وَقْتٍ لِتَجِدَ نِعْمَتَهُ في انْتِظارِك. فَبالرَّغْمِ مِنْ كُلِّ تَقْصيرِكَ مَعَهُ (وَلا سِيَّما على الصَّعيدِ الرُّوحِيِّ)، فَإنَّهُ لا يَتَوانى عَنْ غِمْرِكَ بِبَرَكاتِهِ الكَثيرَة. فَهُوَ لا يُبارِكُنا بِحَسَبِ اسْتِحْقاقِنا، بَلْ بِحَسَبِ نِعْمَتِهِ الغَنِيَّة. وَالحَقيقَةُ هِيَ أنَّ أعْظَمَ بَرَكاتِ اللهِ تَنْهالُ عَلَيْنا بَعْدَ إخْفاقِنا وَشُعورِنا بالعَجْز. فَعِنْدَما نَشْعُرُ بالعَجْزِ التَّامِّ، فَإنَّنا نُلْقي بأنْفُسِنا على اللهِ وَنَتَّكِلُ على نِعْمَتِهِ. فَفي أوْقاتٍ كَهَذِهِ، يُدْرِكُ المَرْءُ أنَّهُ لا يَسْتَطيعُ أنْ يَأتي إلى اللهِ بِقُدْرَتِهِ. فالإنسانُ في نِهايَةِ المَطافِ ضَعيفٌ وَمُفْلِسٌ على جَميعِ المُسْتَوَياتِ.

لِذَلِكَ، يَجِبُ عَلينا أنْ نَتَوَقَّفَ عَنِ التَّفْكيرِ في اللهِ كَما لَوْ كَانَ "بابا نَويل" الذي اعْتَدْنا أنْ يُحْضِرُ لَنا الألعابَ وَالدُّمى في عِيْدِ الميلادِ المَجيد. فَهُناكَ أشْخاصٌ كَثيرونَ يُفَكِّرونَ باللهِ بِهَذِهِ الطَّريقَةِ المَغْلوطَةِ. فَهُمْ يَظُنُّونَ أنَّهُ المَارِدُ العَجيبُ الذي يَخْرُجُ مِنَ الفانوسِ السِّحْرِيِّ لِتَحْقيقِ أُمْنياتِهِمْ. لَكِنْ يَجِبُ علينا جَميعًا أنْ نَعْلَمَ أنَّ اللهَ لَيْسَ كَذَلِك. بَلْ إنَّهُ يُبارِكُنا على أساسِ نِعْمَتِهِ وَإحْسانِهِ وَصَلاحِهِ.

وَمِنَ المُهِمِّ جِدًّا أنْ نَعْلَمَ أنَّ البابَ المُؤدِّي إلى اللهِ سَيَبْقى مَفْتوحًا على مِصْراعَيْهِ مَا دُمْنا نَعيشُ على هَذِهِ الأرْض. لِذَلِكَ، يُمْكِنُكَ صَديقي المُسْتَمِع أنْ تَأتي إلى اللهِ في أيِّ وَقْتٍ على أساسِ نِعْمَتِهِ الغَنِيَّةِ مِنْ نَحْوِكَ. فَكَما قالَ الرَّسولُ بولُسُ: **"وَأمَّا الَّذِي لاَ يَعْمَلُ، وَلكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ، فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ برًّا"**. فَإنْ آمَنْتَ بِذَبيحَةِ يَسوعَ المَسيح، فَإنَّ اللهَ يَنْظُرُ إليكَ كَشَخْصٍ بارٍّ لأنَّ يَسوعَ دَفَعَ أُجْرَةَ خَطاياكَ وَماتَ بَدَلًا عَنْكَ.

وَيُتابِعُ بولُسُ الرَّسولُ حَديثَهُ قائِلًا في العَدَدَيْن 6 و 7:

كَمَا يَقُولُ دَاوُدُ أَيْضًا فِي تَطْوِيبِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَحْسِبُ لَهُ اللهُ برًّا بِدُونِ أَعْمَال:
«طُوبَى لِلَّذِينَ غُفِرَتْ آثَامُهُمْ وَسُتِرَتْ خَطَايَاهُمْ.

وَهَذا اقْتِباسٌ مِنَ المَزْمورِ الثَّاني وَالثَّلاثين. وَالكَلِمَةُ "طُوبى" تَعْني حَرْفِيًّا: "يا لِغِبْطَةِ" أوْ: "يا لِسَعادَةِ". في ضَوْءِ ذَلِكَ، فَإنَّ المَعْنى المَقْصودُ هُنا هُوَ: "يا لِغِبْطَةِ (أو: يا لِسَعادَةِ) الذينَ غُفِرَتْ آثامُهُمْ وَسُتِرَتْ خَطاياهُمْ".

وَإذا تَأمَّلْتَ عَزيزي المُسْتَمِع في المَزْمورِ الثَّاني وَالثَّلاثين، سَتُلاحِظُ أنَّ دَاوُدَ يَتَحَدَّثُ هُنا عَنْ فَتْرَةٍ مِنْ حَياتِهِ كَانَ يُحاوِلُ فيها أنْ يُخْفي خَطاياه عَنْ عَيْنَي الربِّ. لَكِنَّ يَدَ اللهِ كانَتْ ثَقيلَةً جِدًّا عَلَيْهِ. وَقَدْ جَاءَ وَقْتٌ شَعَرَ فيهِ داوُدُ بِجَفافٍ في أعْماقِهِ لَمْ يَخْتَبِرْ مِثْلَهُ مِنْ قَبْل. وَقَدْ بَقِيَ على تِلْكَ الحَالِ إلى أنْ عَقَدَ العَزْمَ على الاعْتِرافِ بِخَطاياه للربِّ. فَهُوَ يَقولُ في هَذا المَزْمور: **"لَمَّا سَكَتُّ بَلِيَتْ عِظَامِي مِنْ زَفِيرِي الْيَوْمَ كُلَّهُ، لأَنَّ يَدَكَ ثَقُلَتْ عَلَيَّ نَهَارًا وَلَيْلاً. تَحَوَّلَتْ رُطُوبَتِي إِلَى يُبُوسَةِ الْقَيْظِ. أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيَّتِي وَلاَ أَكْتُمُ إِثْمِي. قُلْتُ: «أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي» وَأَنْتَ رَفَعْتَ آثَامَ خَطِيَّتِي"**.

وَيُتابِعُ الرَّسولُ بولُسُ الاقْتِباسَ مِنَ المَزْمورِ الثَّاني وَالثَّلاثين فَيَقولُ في رِسالَتِهِ إلى أهْلِ رُومية 4: 8:

طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً».

بِعِبارَةٍ أُخرى: "يا لِغِبْطَةِ (أوْ يا لِسَعادَةِ) الرَّجُلِ الذي لا يَحْسِبُ لَهُ الربُّ خَطِيَّةً". فاللهُ لا يَحْسِبُ أيَّ خَطِيَّةٍ للإنْسانَ الذي يُؤمِنُ بيسوعَ المَسيح. وَيا لَهُ مِنْ مَقامٍ لَنا في المَسيحِ يَسوع! فَمَعَ أنَّ حَالَتَنا مُزْرِيَةٌ لأنَّنا خُطاةٌ وَنَسْتَحِقُّ المَوْتَ، فَإنَّ مَقامَنا في المَسيحِ يَسوعَ يَجْعَلُنا أبْرارًا في عَيْنَيِ اللهِ الآبِ مِنْ خِلالِ إيمانِنا. وَالحَقيقَةُ هِيَ أنَّنا لَمْ نَكُنْ لِنَجْرُؤَ على قَوْلِ هَذا الكَلامِ لَوْلا أنَّ الكِتابَ المُقَدَّسَ أعْلَنَهُ لَنا. لِذَلِكَ، يا لِغِبْطَتِكَ وَسَعادَتِكَ، عَزيزي المُسْتَمِع، إنْ كُنْتَ مُؤمِنًا بيسوعَ المَسيحِ لأنَّ الربَّ لا يَحْسِبُ لَكَ خَطِيَّة.

وَيُتابِعُ الرَّسولُ بولُسُ حَديثَهُ قائِلًا في العَدَدَيْن 9 و 10:

أَفَهذَا التَّطْوِيبُ هُوَ عَلَى الْخِتَانِ فَقَطْ أَمْ عَلَى الْغُرْلَةِ أَيْضًا؟ لأَنَّنَا نَقُولُ: إِنَّهُ حُسِبَ لإِبْرَاهِيمَ الإِيمَانُ برًّا. فَكَيْفَ حُسِبَ؟ أَوَهُوَ فِي الْخِتَانِ أَمْ فِي الْغُرْلَةِ؟ لَيْسَ فِي الْخِتَانِ، بَلْ فِي الْغُرْلَةِ!

فَعِنْدَما نَرْجِعُ إلى سِفْرِ التَّكوين، نَجِدُ أنَّ اللهَ حَسِبَ إبراهيمَ بارًّا قَبْلَ حَتَّى أنْ يُخْتَنَ. وَهَذا إنْ دَلَّ على شَيءٍ فَإنَّما يَدُلُّ على أنَّ اللهَ يَغْفِرُ لَنا خَطايانا لا بِسَبَبِ أعْمالٍ صَالِحَةٍ نَقومُ بِها، وَلا بِسَبَبِ صَلَواتِنا أوْ دِراسَتِنا للكِتابِ المُقَدَّس، بَلْ فَقَطْ بِسَبَبِ إيمانِنا بيسوعَ المَسيح.

ثُمَّ يَقولُ الرَّسولُ بولُسُ في العَدَدِ الحادي عَشَر:

وَأَخَذَ عَلاَمَةَ الْخِتَانِ خَتْمًا لِبِرِّ الإِيمَانِ الَّذِي كَانَ فِي الْغُرْلَةِ، لِيَكُونَ أَبًا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَهُمْ فِي الْغُرْلَةِ، كَيْ يُحْسَبَ لَهُمْ أَيْضًا الْبِرُّ.

وَهَذا يُرينا أنَّ بِرَّ اللهِ حُسِبَ لِجَميعِ النَّاسِ الذينَ آمَنوا في العَهْدِ القَديمِ قَبْلَ حَتَّى أنْ يُخْتَنوا. فَكَما أنَّ اللهَ حَسِبَ إيمانَ إبراهيمَ بِرًّا قَبْلَ أنْ يُخْتَنَ، فَقَدْ حَسِبَ إيمانَ جَميعِ المُؤمِنينَ بِرًّا أيْضًا حَتَّى قَبْلَ أنْ يُخْتَنوا. وَقَدْ جَاءَ الخِتانُ عَلامَةً وَخَتْمًا لِذَلِكَ البِرِّ الحاصِلِ بالإيمان.

ثُمَّ يَقولُ الرَّسولُ بولُسُ في العَدَدَيْن 12 و 13 (مُشيرًا إلى أبينا إبراهيم):

وَأَبًا لِلْخِتَانِ لِلَّذِينَ لَيْسُوا مِنَ الْخِتَانِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا يَسْلُكُونَ فِي خُطُوَاتِ إِيمَانِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي كَانَ وَهُوَ فِي الْغُرْلَةِ. فَإِنَّهُ لَيْسَ بِالنَّامُوسِ كَانَ الْوَعْدُ لإِبْرَاهِيمَ أَوْ لِنَسْلِهِ أَنْ يَكُونَ وَارِثًا لِلْعَالَمِ، بَلْ بِبِرِّ الإِيمَانِ.

فَقَدْ قَطَعَ اللهُ العَلِيُّ هَذا الوَعْدَ لإبراهيمَ قَبْلَ أرْبَعِمِئَةِ سَنَةٍ مِنْ إعْطاءِ الشَّريعَةِ لِمُوسى. لِذَلِكَ، لَمْ تَكُنِ الشَّريعَةُ هِيَ التي جَلَبَتِ التَّبريرَ. وَلَمْ يَكُنِ الخِتانُ هُوَ الذي جَلَبَ التَّبريرَ. فَقَدْ حَسَبَ اللهُ إيمانَ إبراهيمَ بِرًّا قَبْلَ أنْ يُعْطي النَّاموسَ وَقَبْلَ أنْ يَأمُرَ إبراهيمَ أنْ يُخْتَنَ هُوَ وَنَسْلُهُ.

ثُمَّ يَقولُ بولُسُ الرَّسولُ في العَدَدَيْن 14 و 15:
لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الَّذِينَ مِنَ النَّامُوسِ هُمْ وَرَثَةٌ، فَقَدْ تَعَطَّلَ الإِيمَانُ وَبَطَلَ الْوَعْدُ: لأَنَّ النَّامُوسَ يُنْشِئُ غَضَبًا، إِذْ حَيْثُ لَيْسَ نَامُوسٌ لَيْسَ أَيْضًا تَعَدٍّ.

بِمَعْنَىً آخَر، إنْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ قانونٌ، كَيْفَ يُمْكِنُكَ أنْ تَكْسِرَهُ؟ وَإنْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ نَاموسٌ، كَيْفَ يُمْكِنُكَ أنْ تَتَعَدَّى عَلَيْهِ؟

ثُمَّ يَقولُ بولُسُ في العَدَد 16:

لِهذَا هُوَ مِنَ الإِيمَانِ، كَيْ يَكُونَ عَلَى سَبِيلِ النِّعْمَةِ، لِيَكُونَ الْوَعْدُ وَطِيدًا لِجَمِيعِ النَّسْلِ. لَيْسَ لِمَنْ هُوَ مِنَ النَّامُوسِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا لِمَنْ هُوَ مِنْ إِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هُوَ أَبٌ لِجَمِيعِنَا.

إذًا، لَوْ لَمْ يَكُنِ التَّبريرُ بالإيمانِ، لَما كانَ الوَعْدُ وَطيدًا أوْ أكيدًا. بِعِبارَةٍ أُخرى، لَوْ كانَ وَعْدُ اللهِ قائِمًا على أعْمالِنا أوْ مَجْهودِنا أوْ أمانَتِنا، لَما كانَ وَعْدًا مَضْمونًا البَتَّة. وَفي حالٍ كَهَذِهِ، لَنْ يَتَيَقَّنَ أيُّ إنْسانٍ مِنْ خَلاصِهِ. فَقَدْ أكونُ مُخَلَّصًا اليومَ ثُمَّ أفْقِدُ خَلاصي غَدًا. لِذَلِكَ، فَقَدْ جَعَلَ اللهُ الخَلاصَ قائِمًا لا على أعْمالِنا، بَلْ عَلى نِعْمَتِهِ.

وَأخيرًا، يَقولُ الرَّسولُ بولُسُ في رِسالَتِهِ إلى أهْلِ رُومية 4: 17:

كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «إِنِّي قَدْ جَعَلْتُكَ أَبًا لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ». أَمَامَ اللهِ الَّذِي آمَنَ بِهِ، الَّذِي يُحْيِي الْمَوْتَى، وَيَدْعُو الأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ كَأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ.

نُلاحِظُ هُنا، عَزيزي المُسْتَمِع، أنَّ اللهَ جَعَلَ إبراهيمَ أبًا لا لليَهودِ فَحَسْب، بَلْ لأُمَمٍ كَثيرَةٍ. وَنُلاحِظُ أيْضًا أنَّ اللهَ السَّرْمَدِيَّ يَدْعو الأشياءَ غَيْرَ المَوْجودَةِ في وَقْتِنا وَزَمانِنا كَأنَّها مَوْجودَة. لِذَلِكَ قالَ سُلَيْمانُ الحَكيمُ في سِفْرِ الجَامِعَة 3: 15: **"مَا كَانَ فَمِنَ الْقِدَمِ هُوَ، وَمَا يَكُونُ فَمِنَ الْقِدَمِ قَدْ كَانَ"**. وَالحَديثُ هُنا هُوَ عَنِ الأزَلِ وَالأبَد. فَلأنَّ اللهَ العَظيمَ غَيْرُ مَحْدودٍ، فَإنَّهُ لَيْسَ مُقَيَّدًا بإطارٍ زَمَنِيٍّ مُحَدَّدٍ كَالبَشَر. لِذا، فَهُوَ يَسْتَحِقُّ كُلَّ حَمْدٍ وَتَسْبيحٍ وَتَمْجيدٍ مِنَ الآن وَإلى الأبَد. آمين!

[الخاتمة]
(مُقدِّم البرنامج)

في الحَلْقَةِ القادِمَةِ مِنْ بَرْنامَج "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم"، سَوْفَ يُتابِعُ الرَّاعي "تْشَك سميث" دِراسَتَهُ لِرِسالَةِ بولُسَ الرَّسولِ إلى أهْلِ رُومية! لِذا، أرْجو، صَديقي المُسْتَمِع، أنْ تَكونَ برِفْقَتِنا وَأنْ تُصْغي إلينا في المَرَّةِ القادِمَة كَيْ تَنالَ كُلَّ بَرَكَةٍ وَفائِدَة.

وَالآنْ، نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعينَ، مَعْ كَلِمَةٍ خِتامِيَّة.

[كَلِمَة خِتامِيَّة]
(الرَّاعي تْشَك سميث)

نَتَضَرَّعُ لأجْلِكَ، صَديقي المُسْتَمِع، سَاءِلينَ اللهَ العَلِيَّ أنْ يُبارِكَكَ، وَأنْ يَحْفَظَكَ، وَأنْ يَسْتَخْدِمَكَ لِتَمْجيدِ اسْمِهِ. وَنَسْألُ اللهَ أيْضًا أنْ تَكونَ نُورًا في وَسَطِ هَذا العَالَمِ المُظْلِمِ الذي تَعيشُ فيه، وَأنْ تُشارِكَ مَحَبَّةَ اللهِ مَعَ الآخَرين. باسْمِ مَنْ فَدانا وَخَلَّصَنا وَأعْطانا حَياةً أبديَّةً مَعَهُ. آمين!